## في هذا العدد

# مأساة النزوح في وطن واحد

في تاريخ لبنان الحديث، لم يكن النزوح مجرد حادثة طارئة فرضتها حرب عابرة، بل أصبح تجربة جماعية عاشها اللبنانيون جيلا بعد جيل. فقلما توجد عائلة لبنانية لم تختبر يوما معنى ان تترك بيتها على عجل، او ان تحمل ما تيسر من الذكريات والاشياء قسرا او طوعا، وتنتقل الى مكان آخر داخل الوطن نفسه بحثا عن الامان. هكذا تحول النزوح، ويالأسف، الى جزء من الذاكرة الوطنية للبنانيين.

عرف اللبنانيون التهجير مرارا نتيجة الحروب الاسرائيلية التي طالت مناطق واسعة من البلاد. ففي كل مواجهة عسكرية، كانت القرى والبلدات تتحول الى مسرح للقصف، ويجد اهلها أنفسهم امام خيار واحد: الرحيل المؤقت او المخاطرة بحياتهم. كانت العائلات تغادر منازلها وهي لا تعرف ان كانت ستعود اليها، او ان كانت تلك المنازل ستبقى قائمة عندما تنتهي الحرب.

لكن مأساة النزوح في لبنان اقدم من ذلك. فمنذ اندلاع الحرب الاهلية عام 1975، عرف اللبنانيون معنى ان يصبح الانسان نازحا داخل وطنه. يومها، لم تكن خطوط التماس مجرد حدود عسكرية، بل تحولت الى خطوط فاصلة بين مجتمعات كانت تعيش جنبا الى جنب. فانتقلت عائلات بأكملها من مناطقها التاريخية الى مناطق اخرى، خوفا من القتال او من التحولات الطائفية التي فرضتها الحرب.

لم تكن تلك الحرب مجرد صراع داخلي بين أطراف لبنانيين، بل سرعان ما تحولت الى ساحة مفتوحة، لما سمي آنذاك "حروب الاخرين على ارض لبنان". فقد تقاطعت سنة 1975 فوق الارض اللبنانية حسابات اقليمية ودولية معقدة، واستخدمت القوى المختلفة لبنان ميدانا لتصفية حساباتها. وفي خضم ذلك كله، كان الشعب اللبناني هو من يدفع الثمن الاكبر.

الحقيقة التي يجب الاعتراف بها اليوم، بقدر من الشجاعة الاخلاقية والسياسية، ان مختلف الافرقاء اللبنانيين ساهموا بدرجات متفاوتة في تلك الحروب. في تلك المرحلة، بنى كثيرون سلطاتهم على أنقاض الدولة. نشأت قوى محلية مسلحة، واقيمت سلطات امر واقع، وكأن ارث دولة لبنان الكبير يمكن تقسيمه بين قوى متنافسة.

اليوم، تعود هذه المأساة لتطل بوجهها القاسي مرة اخرى. فبسبب الحرب مع اسرائيل، تجد شريحة واسعة من اللبنانيين نفسها مضطرة الى النزوح داخل وطنها. تترك عائلات بيوتها وقراها، وتتجه الى مناطق اخرى من لبنان، حيث تحاول أن تبدأ حياة مؤقتة في انتظار نهاية حرب جديدة لا يعرف احد متى تنتهي.

مع ذلك، ففي وسط هذه الصورة القاسية، يبرز وجه مشرق آخر للبنان. فقد تحركت فرق الاغاثة والجمعيات الاهلية والهيئات الاجتماعية، الى جانب الوزارات المعنية والبلديات، لمواكبة هذه الموجة من النزوح. فتحت المدارس والقاعات والمنازل لاستقبال العائلات النازحة، وبذل كثيرون جهودا كبيرة لتأمين المأوى والغذاء والرعاية الاساسية.

ان توجيه التحية الى هذه الجهود ليس مجرد تعبير عن الامتنان، بل هو اعتراف بأن المجتمع اللبناني، رغم انقساماته وازماته، ما زال قادرا على اظهار قدر كبير من التضامن الانساني عندما تحل الشدائد. غير ان التضامن، على اهميته، لا يكفي وحده. فالمأساة الحقيقية ليست فقط في نزوح الناس اليوم، بل في ان اللبنانيين يعيشون هذا المشهد نفسه مرة بعد أخرى، كان التاريخ يعيد نفسه بلا نهاية. فكل جيل يكاد يورث الجيل الذي يليه تجربة النزوح والخوف وفقدان الاستقرار.

ان مأساة نزوح شعب داخل وطنه ليست مجرد قصة انسانية مؤلمة، بل هي جرس انذار اخلاقي وسياسي. فهي تذكر اللبنانيين بأن تكافلهم وتضامنهم في لحظات الاختبارات القاسية هو الاهم لبقاء لبنان الواحد، ولبنان العيش المشترك.

"الامن العام"